

الموروث الثقافي الإفريقي من المحلي إلى العالمي

رواية أشياء تتداعى لتشينو أتشيبى أنموذجا

أ. وردة لـواتي: كلية الآداب و العلوم الإنسانية/المركز الجامعي بتنمراس

ملخص:

يعتبر الموروث الثقافي لأي أمة كنزها الذي لا يفنى، ومنبع وجودها وامتدادها الذي لا ينضب، فهو على اختلاف أنواعه - سواء كان مادياً أو معنوياً- يعكس روح الأمة وخصوصيتها على الصّعيد الثقافي والفكري والاجتماعي والإنساني... إنه ينتمي إلى الأسلاف فيعيد ذكراهم ليمتد إلى الحاضر والمستقبل فيعطره بشذاهم.

هذا الموروث الذي يسكن فينا ونسكن فيه، والذي يوقظ فينا ملكة البحث والتأمل نحاول أن نستشف عناصره من خلال الرواية الأفريقية للأديب النيجري تشينو أتشيبى " أشياء تتداعى " الزاخرة بكل العناصر الثقافية الأفريقية والإنسانية، فنكشف بذلك عن خصوصية التراث الثقافي الإفريقي المحلي بكل زخمه وفي الوقت ذاته نثبت انتماءه إلى التراث الثقافي الإنساني. ودوره الفعال في التنمية وخدمة المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الموروث الثقافي، المحلية، العالمية، أشياء تتداعى، تشينو أتشيبى.

Le résumé:

Le patrimoine culturel d'une nation est son trésor qui ne périt pas et la source de son existence et de son extension inépuisable, et de sa nature différente que ce soit-matériau ou moral- reflète l'esprit de la nation et sa spécificité au niveau culturel et intellectuel, social et humanitaire... il a appartenu aux ancêtres, restaure leur mémoire et s'étend dans le présent et l'avenir, lui parfum avec leur arôme.

Ce patrimoine, qui demeure en nous et nous vivons en lui, qui éveille en nous L'esprit de la recherche, la méditation et de contemplation tenter de discerner ses éléments à l'aide de roman africain à l'écrivain nigérien CHINUA ACHEBE « le monde s'effondre » riche avec tous les éléments culturels africains et humanitaires, révélant les spécificités du patrimoine culturel africain local dans toute sa vie privée de l'élan, en même temps prouver son appartenance au patrimoine culturel de l'humanité, et son rôle efficace dans le développement et le service communautaire.

Mots clés : patrimoine culturel, local, universalisme, le monde s'effondre, Chinua Achebe.

مقدمة:

إنّ الموروث الثقافي هو روح الأمة الذي يحفظ بقاءها واستمرارها، ويؤصل لماضيها العريق، ذلك الماضي المعطر بشذى الأسلاف وما ارتبط بهم من أفكار وأفعال وأقوال... إنّه ترجمان الوجود البشري الغابر في أعماق الزمن الجميل.

لقد انعكس الموروث الثقافي بكل عناصره انعكاساً جلياً في واقعنا المعيش مادياً ومعنوياً، ولم تسلم كتابات الأدباء والمبدعين من عدوى هذا الموروث الذي امتد أثره ليكتسح كل المجالات. فهذه الرواية الأفريقيّة قد عكست هذا الوجود القوي للموروث الثقافي في حياة الإنسان الأفريقي، الذي يعتزّ به أيّما اعتزاز، فهو بالنسبة إليه رمز الوجود والهويّة الأفريقيّة التي تتطلّع لأفق أوسع، حيث تجد لها مكاناً وقيمةً بين ثقافات العالم المختلفة.

إنّنا من خلال هذا البحث نحاول مقارنة الموروث الثقافي الأفريقي لنقف على كُنه عناصره المحليّة، ومدى تحقّق طموحه في إثبات حضوره عالمياً، وأهميّة ذلك في تنمية الاقتصاد والمجتمع على حد سواء، والإشكالية التي تفرض نفسها هي: كيف أسهمت الرواية الأفريقيّة في الترويج للموروث الثقافي الأفريقي عالمياً؛ رواية أشياء تتداعى لتشنوا أُنشبي نموذجاً؟

1- مفهوم الموروث الثقافي:

إنّ المتمعّن في مصطلح الموروث الثقافي يلحظ لا محالة أنّه يتركب من مصطلحين مستقلّين: الموروث، والثقافي، ولأنّ كل منهما يحتاج إلى صفحات طويلة لتحديد مفهومهما، فإنّنا سنتجاوزهما للوقوف على المصطلح المركّب (الموروث الثقافي) والذي يقصد به " الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي المكتوب والشفوي الرّسمي والشّعبي، واللّغوي وغير اللّغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب ¹ بمعنى أنّه كلّ ما تركه لنا أسلافنا على الصّعيد الاجتماعي والثقافي مادياً أو معنوياً، رسمياً كان أو شعبياً، سواء كان من الماضي الذي يمتدّ إلى الحاضر ويعيش بيننا، أو كان يعيش في أحاسيسنا ووجداننا، فكلاهما حاضر بطريقة أو بأخرى في تصرّفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا، ومهما حاولنا القطيعة معه أو إعلان موته نظرياً أو شعورياً، تظلّ خطاطاته وأنساقها وأنماطه العليا مرشّحة في الوجدان ومتمركزة في المخيلة².

إنّ الموروث الثقافي بعنقه، وبكلّ حيثيّاته وعناصره التي تحمل معها من التّواصل الحضاري عصورات فكر أجيال متعاقبة ³ تضمن الاستمرارية بين الأجيال التي تتطلع بعين إلى أفق المستقبل بكلّ ما يحمله من جديد مثير، وبعين أخرى تحنّ إلى الماضي الجميل بروح السلف الأصيل.

ومن هنا فالموروث الثقافي لم يفقد وظيفته المنوطة به بطريقة أو بأخرى حتى ولو اختلفت عن الوظيفة الأصليّة⁴ والتي هي الأساس التعريف بطبيعة المجتمعات التي وجدت فيها، ويكشف خفايا الأفعال والأقوال على الصّعيد الاجتماعي والفكري والثقافي... فهو مرآة عاكسة لحياة الشّعوب ونمط تفكيرها...

فالموروث الثقافي في مجمله يتشكّل من عناصر ثقافية مادية ومعنوية واجتماعية وجدت لها مكانة في مجتمع معين وعبر حقبة متلاحقة، حيث ظلّ أثر هذه العناصر ممتدًا بشكل من الأشكال إلى الرّاهن المعيش لأنّه لا يشكل مجموعة من العناصر المتباعدة أو الجزئيات المتفرقة التي تتكون وتعمل في فراغ، وإنّما هناك موجّهات معرفية أو محدّدات فكرية تعمل متضافرة على تشكيل التّراث وضمان استمراريته⁵.

وعلى هذا الأساس فالموروث الثقافي عناصر تُغنيه يُمكن حصرها في الموروث الماديّ والموروث اللّاماديّ " فالّتراث الثقافي وكما هو معروف لدى الباحثين، والمختصّين يحتوي على جانبين: أوّلهما الملموس الماديّ ما أنتجه السابقون من مبان ومُدن، وأدوات وملابس وغيرها، وثانيهما التّراث غير الملموس من معتقدات وتقاليد وطقوس، ولغات وغيرها⁶ وبهذا فهو يمتدّ ويتّسع ليشمل كل ما تركه الإنسان في حقبة غابرة.

ونستطيع أنّ نقسم الموروث الثقافي إلى ثلاثة عناصر:

- **الموروث الثقافي الاجتماعي:** يتعلّق بكل الممارسات والسلوكيات، والمعتقدات التي ثبتت عن السلف والتي تتكون بالأساس من: المعتقدات والعادات والتّقاليد الاجتماعية والموروث الشّفهي.
- **الموروث الثقافي الفكري (اللامادي):** ويرى الباحثون أنه كلّ ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية⁷.

- **الموروث الثقافي المادي:** ويشمل كلّ ما يصنعه الإنسان في حياته العامّة، وكل ما ينتجه من عمل بشريّ من أشياء ملموسة وكذلك كلّ ما يحصل عليه النّاس عن طريق استخدام فنونهم⁸ وكل هذه العناصر لا غنى للإنسان المعاصر عنها، ولا يمكنه بأيّ حال أن يفرط في أحدها لأنّها بمثابة العضو في الجسد الواحد.

2- الرواية الأفريقيّة: الخصوصية الذاتيّة.

لا أحد يُنكر أنّ الرواية الأفريقيّة تتميّز عن نظيراتها بما تحويه من عناصر ثقافية تنبع من بيئتها المحليّة، والتي طغت على أعمال الأدباء الأفارقة الذين ما فتئوا يبتّون فيها كلّ ما تزخر به بيئتهم الثقافيّة والاجتماعيّة من موروث ثقافي اجتماعي وفكري وماديّ... ومما لا يخفى على أحد أنّ الرواية الأفريقيّة بدأت محليّة، وكرّست كلّ ما هو محليّ – حتّى وإن كُتبت بلغات غير اللّغات المحليّة – فكانت العناصر الثقافيّة الأفريقيّة حاضرة بقوة، ومن أهم هذه العناصر التي نجدها في رواية أشياء تتداعى للكاتب النيجري تشينوا أتشيبي:

أ- **الموروث الثقافي الاجتماعي:**

1- **أ المعتقدات:**

المعروف أن الإنسان الأفريقي يقدّس عاداته ومعتقداته، ولا يسمح بالتفريط فيهما وتجاوزهما مهما كلفه الأمر حتّى وإن أدّى الأمر إلى فقدان حياته أو أعزّ ما يملك، لأنّها تمثل كيانه ووجوده وامتدادا لأسلافه الذين يعتزّ بالانتساب إليهم لدرجة تقديسهم وتقديم القرابين لأجل إرضائهم، وطلب المعونة منهم ولهذا نجد أن معتقدات الإنسان الأفريقي تتمحور حول " الأولياء والكائنات الحية فوق الطّبيعية، والسّحر والطّب الشّعبيّ، والأحلام، وحول الحيوان، وحول الجسم الإنسانيّ، والأعداد والألوان والروح والطّهارة والنّظرة إلى العالم وغيرها "9.

إنّ حياة الإنسان الأفريقيّ تنبني على نظم معقّدة من المعتقدات وعلى رأسها نجد: اعتقاده بوجود مجموعة الآلهة المتعددة والتي تحتلّ مراتب مختلفة، وإله خالق هو الأعظم أو الأعلى، والذي من صفاته القوّة والقدرة على الخلق والتدمير، وكذلك العدالة والسّمو والارتفاع، لكنّه يتواجد بعيدا عنه ولهذا ليس بإمكانه سماع دعائه، ولهذا فهو يؤمن بوجود الوسطاء الرّوحانيّين المقدّسين الذين ينقلون انشغالاته للخالق الأسمى، فما يكون منه إلا النّضرع إليهم بالقربات في كلّ المناسبات والأحوال، سواء تعلّق الأمر بالمناسبات السعيدة كالزّواج والولادة... أو في الشّدائد والمصائب كالجفاف، والمرض...

وتمتدّ منظومة الوسطاء الرّوحانيّين المقدّسين لتشمل إله العشائر - الطّوطميّة خاصة- والتي يعتقدون فيها القدرة على الحماية والتّوفيق. أمّا الأسلاف فيحتلّون مكانة لا تقلّ أهميّة عمّا سواهم من الوسطاء الرّوحانيّين، فأرواحهم المقدّسة تظلّ موجودة تحوم حول بيوت عائلتها وقبيلتها التي تستشيرهم في كلّ شؤون الحياة، ولا يمكنهم أن يخوضوا في أمر مهما صغر شأنه بدون أن يتوجّهوا بالصّلوات والنّضرعات لأرواحهم طلبا للمشورة والمعونة¹⁰.

كما يلعب السّحر دورا مهمّا في الحياة الدّينيّة للإنسان الأفريقي، ويعتبر من أعظم الوسائل فاعليّة، وأكثرها قبولا في الوسط الاجتماعي ولدى جميع الطّبقات على اختلاف ثقافاتهما، ولهذا فهو سلطة رادعة توظّف من طرف شيوخ القبائل الذين يستخدمونه لغرض معتقدتهم ونفوذهم. فقد كانت مثلا " أوموفيا مرهوبة الجانب من جميع جيرانها ، إنّها قويّة في الحرب والسّحر وكهنتها ورجال الطّب فيها مرهوبو الجانب في جميع البلاد المحيطة بهم ، فأفتك دواء سحريّ حربيّ لديها قديم قدم القبيلة نفسها...كان الدّواء السّحري نفسه يدعى أجادي - نواي أو امرأة عجوز"¹¹.

فالكاهن في المجتمع الأفريقي يتقمص دور الطّبيب في القبيلة بفضل تعاويذه وتمائمها التي يتمّ بها الشّفاء من الأمراض، وطقوسه التي ينزل بها المطر فيذهب القحط والبلاء ويستعيد المحبوب محبوبته، ويصل كلّ فرد في القبيلة إلى مبتغاه، فلا يتمّ أيّ أمر فيها إلّا بتدخّله ومشورته وإتّباع الطّقوس التي يراها مناسبة.

2-أ عادات وتقاليد اجتماعية:

تحتلّ العادات والتقاليد الاجتماعيّة في حياة الإنسان الأفريقي مكانة عظيمة تصل إلى حدّ التّقديس، فهو يلزم نفسه بها ويخضع لها بشكل لا يمكن معه حتّى مجرد التّفكير في مخالفتها، لأنّها

بمثابة القانون المقدس الذي يعلو ولا يُعلى عليه " فالامثال الجماعي والقبول والمرافقة الاجتماعية قد تصل في بعض الأحيان إلى الطاعة المطلقة وتتوقف العادات الاجتماعية على ظروف المجتمع، فهي تختلف بحسب المجتمعات وبحسب الأزمنة المطلقة¹² وقد مارس الإنسان الأفريقي هذه العادات " بطريقته الخاصة و البدائية، فشكّلت رصيده الثقافي و الأدبي و بالتالي استمرت حياة توارثها أبنائه على مرّ العصور¹³ ويمكن أن نتتبع هذه العادات والتقاليد من خلال مناسبات عديدة أهمّها:

1-2- المعاملة الاجتماعية اليومية:

- **الضيافة:** فأفراد قبيلة أوموفيا من عاداتهم أن يحمل الرجل المهم في القبيلة فرش جلد الماعز معه إذا أراد أن ينزل ضيفا على أحدهم، وإن كان لدى جاره، ليفرشه ويجلس عليه، كما لا ينسى قطعة الطّشور التي يُلون بها أصبع قدمه الكبير، ويرسم خطوطا أخرى على الأرض، أما مضيفه فيقدم له جوزة كولا ويطلب منه كسرّها أو يقوم هو بكسرها. فالكولا تمثّل بالنسبة لهم الحياة والاحترام والتّرحيب بالضيف¹⁴.

فالكولا لها مكانتها الخاصة لدى الإنسان الأفريقي خاصّة وأنّها ترتبط بشكل من الأشكال بروح الأجداد، "فأونوكا وهو يكسر الكولا، صلّى داعيا أجدادهما أن يمدّوهما بطول الحياة و العافية، ويحموهما من أعدائهما"¹⁵.

- **القصاص:** ومن عادات قبيلة أوموفيا وبقية القرى الأخرى في القصاص من القاتل الذي لا ينتمي إلى القبيلة أخذ أحد من قبيلته بدلا عن المقتول، فإن كانت المقتولة زوجة أخذوا زوجة القاتل، أو عذراء بدلا منها لتكون للأرمل زوجة، وقد يأخذ أحد أبنائه ليتم قتله في وقت لاحق إن كان صغيرا في السن¹⁶. فهذا عرف جار العمل به بين العديد من القبائل الأفريقية، ومن ترفضه تكون مكرهة على اختيار الحرب التي تذهب بالعديد من الأرواح البريئة.

- **فضّ المنازعات:** يتم عقد مجلس للإيجوجو - الذي يعتبر إله القبيلة - وهم مجموعة من أشرف القبيلة يتقمّصون شخصية الإيجوجو ليتم سماع المتخاصمين والحكم لصاحب الحق حسب قانون القبيلة ، ولا يمكن لأي فرد من المتخاصمين أن يرفضه أو يعترض عليه ، وإلا حلّت عليه لعنة الأجداد¹⁷.

2-2 **الأعياد الدّورية والمناسبات القبليّة:** نجد أن أفراد القبيلة يتّبعون عادات معيّنة أثناء موسم الزّرع والحصاد، " فقد كان عيد اليام الجديد يقترب... كان هذا العيد مناسبة لتقديم الشّكر إلى آني ربّة الأرض ومصدر كلّ خصب...كان يجري كلّ سنة قبل بدء الحصاد لتكريم ربّة الأرض وأرواح أجداد العشيرة...إنّه يمثّل بداية موسم الوفرة للسّنة الجديدة، في اللّيلة الأخيرة السّابقة للمهرجان يتخلّص الجميع من يام العام الماضي المتبقي في حوزتهم "¹⁸كما يقومون قبل الزّرع

كذلك بالنّضحية بديك لأنّي ملك كل الأرض ،ويقطعون الشّجيرات ويشعلون النّار فيها عندما تجف¹⁹ ، إضافة إلى أنّ القبيلة تخصّص لأفرادها أسبوعا يمتنعون فيه عن الإساءة إلى الغير خوفا من انتقام آلهة الأرض؛ والذي يُعرف بأسبوع السلام.²⁰

2-3 الحياة والموت وما تعلّق بهما:

- **الزّواج:** إنّ للزّواج في التّقليد القبليّ الأفريقي طقوسا خاصّة متوارثة يتّبعونها و لا يحدون عنها ،فمراسيم الزّواج متعارف عليها بين قبائل أوموفيا ، فهي تبدأ عادة بعد أن يتقدّم والد الشّاب لطلب يد الفتاة من والدها ويقوم بإرسال عنزتين سمينتين ،وما يزيد أو يقل عن خمسين زقا من نبيد النخيل و جوز الكولا، حيث يحضر رهط من كبار القبيلة وأشرفها إلى بيت العروس ،ليجلسوا مجموعات فيقدّم لهم الطّعام المتكوّن من اليام والقريسة ، وحساء الخضار باللّحم ،والفو-فو المهروس ونبيد النخيل والكولا ،وتثبت بعدها المشاعل على ركائز خشبيّة ويبدأ الغناء والرقص ،لتظهر العروس تحمل ديكا بيدها اليمنى مقدّمة إياه للعازفين ، وهي تدهن جسدها بخشب الكام ، وبعد انقضاء القسم الأكبر من اللّيل والحفل يغادر الضّيوف ومعهم العروس²¹ .

- **الولادة:** وهي من الأحداث السّعيدة في حياة الإنسان الأفريقي خاصّة إذا كان المولود بصحة جيّدة، وهو نذير شؤم إذا كان ابن أوجبانجي أو إذا كان توأما حيث يقومون بتركه في غابة الشّر لتلتهمه الوحوش الضارية²²، وهم بهذا يعتقدون أنّهم تخلّصوا من أذاه ؛الذي قد يمتدّ ليلحق بكل أفراد القبيلة .

- **الجنّازة:** حيث يتمّ الإعلان عنها بقرع الطّبول بطريقة خاصّة ليعلم بها أفراد القبيلة والقبائل المجاورة...،كما يقومون بطقوس خاصّة في دفن الطّفل الأوجبانجي ؛وهو طفل يموت قبل سن الثّالثة، يعتقد أنّه أحد الأطفال الأشرار الذين يدخلون إلى أرحام أمّاتهم بعد الموت كي يولدوا ثانية²³.

ب -**الموروثات الشّفهية:** يولي الإنسان الأفريقي أهميّة بالغة " لفنّ الحديث الذي يتبوأ لدى الإيبو مكانة رفيعة جدا، والأمثال هي زيت النّخيل الذي تؤكل الكلمات معه " ومن الأمثال المذكورة في الرّواية " النار تترك الرماد"²⁴، و " عندما يسطع القمر يجوع الكسيح إلى المشي "²⁵ ومن الحكم " إن الشّمس تسطع على الواقفين قبل أن تسطع على الرّاكعين تحتهم "²⁶ وكذلك قولهم " إذا غسل الطّفل يديه فهو يستطيع الأكل مع الملوك "²⁷.

من أهمّ الموروثات الشّفهية وأكثرها تأثيرا في نفوس أفراد القبيلة الأفريقيّة الأساطير، فهي تسري في الإنسان الأفريقي كمجرى الدّم في العروق، ولهذا فهم يعكفون على سردها ونقلها من جيل لآخر كأساطير نشأة الكون، ونشأة النار... ولهذا فهي حاضرة في هذه الرّواية من خلال ما يروى عن " الشّجار النّاشب بين الأرض و السّماء في الماضي السّحيق، وكيف أنّ السّماء حبست المطر سبع سنوات، إلى أن ذبلت المحاصيل ولم يعد بالإمكان دفن الموتى لأنّ المجارف كانت تنكسر على الأرض المتحرّرة ،في النّهاية أرسلت الأرض النّسر يتوسّط لدى السّماء، ليرقّ قلبها

بأغنية من معاناة أبناء الرّجال... حيث غنى النّسر، مبعوث الأرض، طالباً الرّحمة... أخيراً، تحرّك قلب السّماء بالشفقة، وأعطت النّسر المطر ملفوفاً بأوراق الكوكو- يام "28.

أمّا الحكايات فهي ملح الحياة الذي لا يستغني عنه الفرد فهو قابع في " لا شعوره وذاكرته الأبدية، ولا يستغني عن حكاية، أو أغنية شعبية، أو حكمة قديمة ، أو مثل متوارث فكّلها متعة للنّفس، وحاجة ضروريّة "29 وهي متواترة في الرّواية بشكل يعكس عفويّة الإنسان الأفريقي فقد " تناهت إلى سمع أوكونكوو أصوات خافتة ، يقطعها الغناء بين حين و آخر صادرة عن أكواخ زوجاته وهنّ يتبادلن مع أطفالهنّ رواية الحكايات الشّعبية "30 ومنها حكاية عن ذكر السّلحفاة الذي رافق الطّيور في رحلة إلى السّماء ليحضّر وليمة ، ويقوم بالاحتفال عليهم ليلقى جزاءه فيما بعد31.

ولا تقلّ الأغاني الشّعبية الفولكلوريّة أهميّة فهي حاضرة في مناسبات عدّة كالزّواج والولادة والاحتفالات الجنائزيّة، وفي الأيّام العاديّة، ويظهر الإنشاد والتسابيح لدى الكاهنة، حيث " بدأت تشيلو تنشد التّسابيح إلى إلهها من جديد : أجبالا دو - و- و أجبالا إيكيني- وو، طالبة منه العون في شفاء إيزينما ابنة أوكونكوو من زوجته إيكوفي32. فهذه أناشيد و تسابيح رفعت لإله القبيلة أجبالا .

كما تتجلّى هذه الأغاني صادحة في الأعراس متزامنة مع الرّقص وقرع الطّبول معلنة بداية الفرح فقد "انتقل الموسيقيّون، وهم يعزفون على آلاتهم الخشبيّة والطينيّة و المعدنيّة ، من أغنية إلى أخرى . غمرت البهجة الجميع . وغنّوا أحدث أغنية في القرية ... "33

أمّا في الاحتفالات الجنائزيّة فإنّك تسمع نمطا مختلفا من الغناء " ألم تسمع الأغنية التي ينشدونها عندما تموت امرأة ؟ « لمن تكون الحياة حلوة ، لمن تكون الحياة حلوة ؟

ليس هناك أحد تكون الحياة له حلوة » .

وليس لديّ أكثر من هذا لأقوله لك « . "34

ج - الموروث الثقافي المادي:

وهذا النّوع يفرض نفسه بقوة وينشأ بعفويّة الإنسان الأفريقي؛ الذي يحاول جاهدا أن يضع بصمته الخاصّة ببيئته والتي تتماشى وعاداته وتقاليده، ونمط عيشه، فقد أوجد هذا الإنسان في قبيلته (أوموفيا) نمطا خاصا من البناء حيث يقوم الوالد ببناء كوخ خاص به، و " أكواخ مسوّرة بسياج سميك من الطّين الأحمر، وبنّت كلّ زوجة ملحقا صغيرا إلى جانب كوخها لتربية الدّجاج، قرب مخزن الغلال قامت دار صغيرة دار الدّواء أو المقام حيث يحتفظ أوكونكوو بالرّموز الخشبيّة لآلهته الشّخصية وأرواح أجداده "35.

والآلات الموسيقية المعروفة لدى القبيلة هي الطبل، الذي لا يمكن للفرد فيها أن يستغنى عنه؛ لأن وظائفه تتعدد بحسب الظروف والمناسبات، فهو وسيلة للترفيه في المناسبات السعيدة، ووسيلة اتصال عند إعلان نبأ معين، ووسيلة لبث الحماس في حالة الحرب بالإضافة إلى المزمار.

في حين تتمظهر الألعاب الشعبية في المصارعة التي تمارس دوريًا في القبيلة، ويبرز فيها بطل يتمكن من الإيقاع بخصومه و التغلب عليهم بفضل قوته ونباهته، ويتضح هذا من خلال " إحرار أوكونكو شهرة واسعة في جميع أنحاء القرى التسع وحتى فيما وراءها. وقد قامت شهرته على إنجازات شخصية راسخة، فحين كان شابا في الثامنة عشرة، حاز لقريته على شرف عظيم بتغلبه على الهر أمالينز المصارع العظيم الذي لم يقهره أحد "36.

3- الرواية الأفريقية/ الخصوصية الإنسانية:

مما لا شك فيه أن الرواية الأفريقية أثبتت وجودها محليًا من خلال حملتها الثقافية المحلية، وتكريسها لكل ما هو أفريقي محض، والموروث الثقافي الفكري والاجتماعي واللامادي، لكن السؤال المطروح هو: هل هذه الرواية بكل هذا الرّخم الثقافي الأفريقي بقيت تراوح بيئتها الأصلية الضيقة، أم أنها خرجت إلى العالمية، وتعدت المحلي إلى ما هو إنساني؟

من المعروف أن رواية أشياء تتداعى كتبت باللغة الإنجليزية على اعتبار أن كاتبها " دخل كلية الجامعة في إيدان ودرس الإنجليزية والتاريخ والدين "37 واللغة الإنجليزية كمعطى فكري حضاري وجمالي، وحتى سياسي فتح المجال أمام الرواية لتخرج من المحلي الضيق إلى العالمي الأوسع، والكاتب أنشبي كتب روايته التي تحمل ثقلًا كبيرًا من الموروث الثقافي الأفريقي المحلي بلغة المستعمر الأوروبي، فالخطاب هنا خطاب الأنا مقابل الآخر، فهي مقاومة ثقافية تأصل لكل ما هو محلي برافد لغوي أجنبي، إنه إثبات للهوية وللذات.

لقد " ترجمت الروايتان الأوليان – أشياء تتداعى، لم يعد مطمئنا – إلى الألمانية والإيطالية والإسبانية والسلوفينية والروسية والعبرية الفرنسية والتشيكية المجرية "38 وهذا كفيل بخروج الرواية من المحلي إلى العالمي، فالترجمة تعتبر جسرًا للتواصل والتفاعل بين الشعوب والمجتمعات على امتداد جغرافيتها، والحضارات على اختلاف آلياتها، فترجمة الرواية سمح بالتعريف بنمط عيش المجتمع الأفريقي، وكشف اللثام عن تقاليده وثقافته المغمورة على مرّ السنين، وبالتالي كانت الترجمة وسيلة فعالة تكرر ثقافة الاختلاف والتميز وبهذا تكون "لا علامة على تبعية ونقل وتجمد وموت، وإنما على انفتاح وغلجان وتلاقح وحياة "39.

فالموروث الثقافي الأفريقي على هذا الأساس انفتح على كل ما هو عالمي إنساني، رغم التباينات والاختلافات العرقية واللغوية والمعرفية والدينية، وعبر إلى الضفة الأخرى بكل ثقة مسهمًا في عملية التلاقح والتواصل والتنوع الحضاري، فاللغة يمكن أن تكون وسيلة وآلية فعالة لإبراز خصوصيته وتميزه، ما يجعل الأنظار تتجه صوبه لمحاولة اكتشاف كنهه عن قرب وفي بيئته الأصلية؛ وبالتالي يمكن أن يكون موردًا قوميًا هامًا يلعب دورًا كبيرًا في التقدم الاقتصادي

والاجتماعي على حد سواء، خاصة إذا ما استغلت العناصر الثقافية المكوّنة لهذا الموروث في مجال السياحة الثقافية من خلال تفعيل الموروث الثقافي المحلي وإبرازه للسانح على أفضل شكل

فالرواية من خلال لغتها وترجمتها إلى لغات عديدة تروج للموروث الثقافي الأفريقي، وتفتح الشهية للآخر الذي يستهويه كلّ ما هو جديد وغريب، فهي بمثابة اللوحة الإشهارية الجذابة التي كتبت برموز خاصّة تحتاج لمن يفكّ طلاسمها، وبالتالي فهي عامل جذب سياحي بامتياز، يسهم إسهامًا كبيرًا في دفع التنمية الاقتصادية للبلد.

كما تعتبر كذلك مرآة تعكس الوجه الآخر لأي مجتمع، فهي تكشف عن الجانب الخفي له وتغير نظرة الآخر إليه من السلبية إلى الإيجابية، فيفتح أمام أفراد المجال للتعبير والتفكير والحضور الفعّال على جميع الأصعدة.

خاتمة:

إنّ ما يمكن حوصلته من خلال ما توصلنا إليه عبر هذا البحث هو:

- أنّ الموروث الثقافي لا ينحصر في جانب دون الآخر، بل يتفرّع ليمتدّ إلى كلّ ما يتعلق بالأسلاف من حركات وسكنات، وعادات ومعتقدات، وآلات وبنيات...

- الموروث الثقافي الاجتماعي كعنصر من عناصر الموروث الثقافي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعادات ومعتقدات الأسلاف، ويبين الصلة الوثيقة بين الأسلاف ومعتقدهم من جهة، وتمسّكهم بعاداتهم وأعرافهم من جهة أخرى.

- وأنّ الموروث الثقافي الفكري اللامادي يشمل كل ما أنتجه الأسلاف في مجال الفكر والموروثات الشفاهية ويعكس مستواهم الفكري والذهني.

- كما أنّ الموروث الثقافي المادي يدور في فلك كلّ ما خلفه الأسلاف من آثار مادية وألعاب شعبية تبرز نمط عيشهم وطرق ترفيههم.

- مساهمة الأدب الأفريقي وبالتحديد الرواية في التوثيق الحضاري للموروث الثقافي الأفريقي، وحفظه من الاندثار والتلاشي. إضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته اللغة في إخراج هذا الموروث من بوتقته الضيقة إلى أفق أوسع وأرحب؛ يمكنه من خلالها إثبات حضوره الفعّال على جميع الأصعدة.

- يلعب الموروث الثقافي دورًا فعالاً في صنع التنمية الاجتماعية والاقتصادية؛ وذلك باعتباره عامل جذب للسياحة وتنمية ثقافة المجتمع، فالذي ليس له ماض لا مستقبل له.

الهوامش:

- 1 - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص 21.
- 2 - سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى، من أجل وعي جديد بالتراث، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ط 1، ص 226.
- 3 - فوزي العنتيل، الفلكلور: ماهو؟ دراسات في التراث الشعبي، دار المعارف، مصر، 1965، ص 23.
- 4 - فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص 229.
- 5- حسين محمد فاهيم، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص 122.
- 6- مجموعة من المؤلفين، الموروث الشعبي وقضايا الوطن، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 3.
- 7- أحمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، دار المعارف، مصر، 1984، ط 2، ص 36.
- 8- أحمد أبو يزيد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، 1978، ص 47.
- 9 - فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، ص 20.
- 10 - هوبير ديشان، الديانات في أفريقيا السوداء، تر(أحمد صادق حمدي)، المركز القومي للترجمة القاهرة، 2011، ص ج. ينظر
- 11- تشينوا أتشيبي، أشياء تتداعى، تر(سمير عزت نصار)، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ط 1، ص 16.
- 12- فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، ص 78.
- 13 - سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بن عكنون، 1998، ص 17.
- 14 - تشينوا أتشيبي، أشياء تتداعى، ص 10.
- 15 - المصدر نفسه ، ص 10.
- 16- المصدر نفسه، ص 13.
- 17- المصدر نفسه، ص 98-105.
- 18- المصدر نفسه ، 43-44 .
- 19 - المصدر نفسه ص 22 .
- 20 - المصدر نفسه، ص 38 .
- 21 - المصدر نفسه ، ص 125-132 .
- 22 - المصدر نفسه، ص 89
- 23 - المصدر نفسه، ص 67.
- 24 - المصدر نفسه، ص 38.
- 25 - المصدر نفسه، ص 15.
- 26- المصدر نفسه، ص 12.
- 27 - المصدر نفسه، ص 13.
- 28 - المصدر نفسه، ص 61، 62.

-
- 29 - علي الهمذاني، الحكاية اليمنية في إطارها الإنساني، دار المعارف، القسم الأول، ص 125.
- 30 - تشينوا أنشيببي، أشياء تتداعى، ص114.
- 31 - المصدر نفسه، ص 106-111.
- 32 - المصدر نفسه، ص 114.
- 33 - المصدر نفسه ، ص 131 .
- 34 - المصدر نفسه ، ص 149 .
- 35 - المصدر نفسه، ص19.
- 36 - المصدر نفسه، ص6.
- 37 - المصدر نفسه، ص3.
- 38 - المصدر نفسه، ص3.
- 39 - عبد السلام بن عبد العالي، الترجمة والمثاقفة، مجلة الوحدة، السنة6، عدد62، 989/61، المجلس القومي للثقافة العربية، ص8.